

ملخص البحث:

تعد دراسات اللغة العربية وآدابها هي الجامعة اللامعة للعلوم الإنسانية والتطبيقية باعتبار اللغة العربية، وهي اللغة العلمية بامتياز بلا منازع، فضلا أنها لغة من اللغات السامية المنسوبة إلى سام بن نوح عليه السلام، وهي من أقدم اللغات في تاريخ البشرية، لغة عاد وشمود وهما من القرون الأولى، فكانت اللغة في كل قوم ومجتمع يتكلمون بها تعبيرا عن حاجاتهم في حياتهم فيما بينهم، ثم تطورت إلى لغة الأدباء من نثر وشعر، وكانت اللغة العربية أكثر حظا وأوفر نصيبا في هذا المجال، وشاء القدر أن نزل القرآن الكريم باللغة العربية.

المبحث الأول: اللغة العربية وآدابها في العلوم الإنسانية، كان القدماء قسموا العلوم إلى العلوم النقلية والعلوم العقلية، ثم تطورت العلوم النقلية إلى العلوم الإنسانية، والعلوم العقلية إلى العلوم الطبيعية والتطبيقية، وقد تميزت اللغة العربية بالعلوم الإنسانية، والعلوم الطبيعية التطبيقية معا.

والعلوم الإنسانية تعني الثقافة، والثقافة ظاهرة إنسانية، تشمل جميع سلوك الإنسان الطيب وغيره.

والعلوم الطبيعية التطبيقية تعني: التجارب العلمية في البحث العلمي حول الكائنات بالقواعد والقوانين لاكتشاف المعلومات التي تؤدي إلى مصلحة الإنسان كما هي الحال في الأجهزة التكنولوجية المتعددة وغيرها.

المبحث الثاني: دراسات اللغة العربية وتحديات العصر، إن دراسات اللغة العربية كانت قبل اختراع الكتابة والتدوين، وكانت فنون اللغة العربية أعجزت الشعوب ببلاغتها وفصاحتها وصياغتها للمعنى وتحريكها للأحاسيس والوجدان حتى نزلت آيات القرآن الكريم بنظريات للنظم من ترتيب حروف الكلمة ونظم ترابط كلمات الجملة مع قوة المعنى المدلول على الفكرة، فأعجزت العرب الفصحاء.

إن تحديات العصر الجاري بهذه التكنولوجيا الصناعية والمعلوماتية هي من مشتقات اللغة العربية التي كانت قديمة هي لغة عربية ونزل القرآن الكريم بها ثم تطورت إلى اللغة العلمية الأولى على مستوى الكون، فكل ما نراها من مظاهر التطور التكنولوجي هي نتيجة لمشتقات اللغة العربية.

الخاتمة: أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

التوصيات والمراجع.

تعد اللغة العربية من أقدم اللغات التي تحدثت بها الأمم والشعوب، وقد شاع من الأخبار العامة أنها لغة سامية، تنسب إلى سام بن نوح عليه السلام، إذا صح هذا الخبر إن اللغة العربية هي أم اللغات، وأصلها، ومما تعضد هذا الخبر وتؤكد صحته، إنها لغة عاد وشمود وهاتان الأمتان، هما من القرون الأولى، وكان لهما آثار من الحضارة تشهد عليها كل من سكن الأرض في تاريخ البشرية، تواتر الأخبار أن لغتهما العربية وما يساند هذه الأخبار، كثير من المؤرخين ذكروا نبي الله صالح وهود هما من الأنبياء العربية، فلهايتين الأمتين ممن أطال الله أعمارها من البشر، ولهما آثار في الأرض من فنون المعمار، أشار القرآن الكريم إليها فقال ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ هود: ٦١ .

وقال أيضا: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجَسُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ الأعراف: ٧٤

وفي شأن عاد: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فصلت: ١٥

فذكر القرآن الكريم أن هؤلاء الشعوب (لم يخلق مثلها في البلاد) من شدة ما أوتوا بسطة من الوزن في الطول والعرض، وأن عادا وشمودا أكثر من آثار الأرض وعمرها، من الأمم السابقة ممن سكن البلاد، وكان لهما أكثر جمعا من المال والممتلكات، فمن ما لا شك فيه أن يكون لهاتين الأمتين حضارة عظيمة، ولكن لم يسجل مكتوبا غير القرآن الكريم فأطنب في ذكر هاتين الأمتين ممن لهما بسمات بارزة في التاريخ على غيرهما من الأمم والشعوب، ولغتهما اللغة العربية، معنى هذا، اللغة العربية لغة الحضارات الإنسانية في القرون الأولى.

إن دراسات اللغة العربية إذا أطلقت تشمل ثقافة: عاد وشمود، ودراستها تعتمد على إشارات القرآن الكريم وينبغي على الباحثين المقتدرين، القيام بمهمة هذه الدراسة على ضوء إشارات القرآن الكريم.

لما أن اللغة في كل قوم تبدأ بداية بسيطة عادية يتكلمون بها أفراد القوم تعبيرا عن حاجاتهم في حياتهم فيما بينهم بطريقة عادية. (راشد، ص ٢٦٩) وعند ما تبرز في التطور الاجتماعي في جانب الحياة المدنية، وتحسن أوضاعهم الاقتصادية، وتتقدم في الثقافة.

اللغة العربية وتحديات العصر

فتظهر تطلعات فكرية تؤدي إلى تطور اللغة فتتحول إلى اللغة الأدباء تعبر عن الأحاسيس والوجدان من نثر وشعر، وكانت اللغة العربية أكثر حفا وأوفر نصيبا في هذا المجال وشاء القدر أن نزل القرآن الكريم باللغة العربية.

وأصبحت اللغة العربية هي الجامعة للعلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية لاعتبار اللغة العربية وهي اللغة العلمية بامتياز بلا منازع، وذلك متضمن في أنها لغة تكلم بها في القرون الماضية عشرات الأجيال فهي منسوبة إلى سام بن نوح، ولغة عاد وثمود وأصحاب الأيكة وقريش نزل بها القرآن الكريم، فألفاظ القرآن الكريم ألفاظ عربية بقواعدها وبناء جملها ومفرداتها، ثم إنها من لدن عليم حكيم.

لما لكل لغة ما تحمله من أساليب التعبير عند المتكلمين بها، فهي على حسب قوة حضارتهم وتقدمهم المدنية في التجارب مع الحياة والخبرات، ولا يملكون العلم ابتداءً ويتكلمون به أبداً، إلا اللغة العربية فقط، فتحمل مفرداتها العلم ابتداءً، من أجل ذلك بعض الأوروبيين يحفظون القرآن لأجل ألفاظه تحمل علما ابتداءً.

المبحث الأول:

اللغة العربية مع العلوم الإنسانية، كان القداماء قسموا العلوم إلى العلوم النقلية، والعلوم العقلية، فتميزت العلوم النقلية بموضوعاتها المتعددة كالعلوم الحديث والفقه على المذاهب الأربعة، وتفسير القرآن الكريم وأصول الدين واللغة والأدب إلى غير ذلك، وهي الموضوعات التي تطلق عليها العلوم النقلية، ثم تطورت إلى العلوم الإنسانية في العصر العباسي، وبالأخص عصر المماليك في القرن السابع الهجري وقال بهذا من العلماء في هذا القرن: نصر الدين الطوسي، ومحي الدين بن شرف النووي وبرهان الدين محمد بن محمد النسفي وغيرهم. (الذهبي، ٥٤٨، ج ٢١، ص ٢٢٩)

وتميزت العلوم العقلية بموضوعاتها المتعددة أيضا: كعلم الطب والكيمياء والرياضيات والفلك والنجوم، والجغرافيا والهندسة وقد يضاف إليها الفلسفة والموسيقا إلى غير ذلك، وتطورت إلى العلوم الطبيعية والتطبيقية (حسن، ج ٣، ص ١١٢).

وقد تميزت اللغة العربية بالعلوم النقلية (الإنسانية) وبالعلوم العقلية (الطبيعية التطبيقية معاً).

إن العلوم الإنسانية تعني الثقافة، والثقافة ظاهرة إنسانية تشمل جميع سلوك الإنسان الجيد وغيره، فكانت اللغة العربية لها من العمر الطويل من خلال ثقافات الأمم والشعوب التي تحدثت بها في التاريخ من القرون الماضية، فتكون اللسان العربي قد أخذت نصيبا من الثقافة الإنسانية، ما لا يكاد يساويها لسان آخر مما يتكلم به من اللغات حول العالم في العلوم الإنسانية، ومما يجدر الإشارة إليها أن اللغة العربية لم تأت منها نصوصا كتبت في

القرون الأولى في عاد وثمود ومن بعدهم إلى العصر الذي فيه تم التدوين في العلوم العربية، عصر صدر الإسلام وما قبلها لا يزيد على قرنين، وما جاء من الأخبار تؤكد ذلك في أول ما كُتِبَتْ من القصيدة في القصائد العربية، في القرون الأولى، قبل القرنين من بعثة الرسالة المحمدية صلى الله عليه وسلم.

رسالة الإسلام فقد ثبت وجود اللغة العربية بإجماع المؤرخين في القرون الأولى، وهي اللغة التي تحدثت بها تلك الأمم والشعوب التي كانت لهم وجود في الحقبة الزمنية في هذه الفترة منذ سام بن نوح ومن بعده من أمة عاد وثمود والذين من بعدهم. إلى من كُتِبَ له قصيدة بالعربية يقال: مهلهل بن ربيعة، فيحتاج إلى بحث وتتقيب لإظهار قوة ثقافة شخصية اللغة العربية ككيان لغوي في التاريخ، والثقافة هي: تعبير عن سلوك الإنسان في ممارسة الحياة.

والإنسان المثقف قمة من القناعة الذاتية في ممارساته الحياة، وهو من يفسر الأغراض بدقة في سلوك الآخرين، ويذهب على قراءته معتمدا على الخبرات والتجارب التي وهو يحملها.

واللغة العربية هي اللغة التي حظيت بطول التاريخ في الأمم والشعوب والبقاء ما بقيت الأرض والسماء فهي لغة من الثراء لم يكن لها مثل، فكانت تلك من الشعوب التي تكلم بالعربية من: كعاد وثمود لها من الفن بجميع تشعباتها، كما أشارت إليها آيات القرآن الكريم، ومن التعبير الفني الدقيق التي تثير الشعور كما في العصر الجاهلي. (الكاديكي، ص ١١٧) وهو دليل على أنهم ورثوه ممن سبقوهم من تكلم بهذه اللغة، كما نحن اليوم نجد من هو مبدع في التعبير الفني في الأدب العربي فنأخذ ونحلله تحليلا علميا ثم نربطه بمن سبقوه ونقول أنه مؤثر بشخصية كذا من السابقين، وغير ممكن أنه أبدع من عند نفسه ولم يسبقه أحد، وهو نفس الفكرة فقد وجد مهلهل بن ربيعة، وهو أول من نظم القصيدة العربية، هذا لم يأت من فراغ وإنما هناك إشارات قد يكون متبعثرة تحتاج إلى جمع وترتيب وتنظيم وترقيع وغير ذلك، فتجد المحكي أن يقوم بمثل هذا الصنيع، فيصنع ما كان أنتجته البيئة متأثرة ولم تكن لها وجود في شكل ولا غير، وهو يستقى في نفسه بوحى الله له في أن يجمع تلك من الأفكار المتناثرة، ويكون لها وجود في شكل موضوعي يناول جانبا من الحياة بشيء، فإن مهلهل بن ربيعة ابن البيئة العربية.

فإن العرب، لا يعرفون الكتاب والقراءة كما هو حال الإنسان في القرون الأولى، وما نحن فيه الآن نتكلم بالقرون الأولى بفضل إشارات القرآن الكريم بأياته الحكيمة ﴿وَلَا يَبْسُتُكَ مِثْلَ حَیْرِ﴾ فاطر: ١٤ ولهذا ينبغي القيام بالبحوث العلمية.

اللغة العربية وتحديات العصر

وأن نجزم بأن ما أخبرنا بها القرآن الكريم دليل قاطع بصحة ما نقوم به من الأبحاث في مثل هذه الحقبة الزمنية في اثبات اللغة العربية لغة تلك الشعوب والأمم لأجل أن اللغة العربية التي نتكلم بها الآن وهي التي نقلت إلينا ثقافة هؤلاء الشعوب.

ومما تشير إلى مثل هذا: قَالَ تَمَّالٌ: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢٦)

﴿النحل: ٢٦﴾

قال البغدادي محمود الألوسي في تفسيره: أن نمرود بن كنعان بني صرحا ببابل ليصعد إلى السماء ويقاقل أهلها وأفرط في علوه، فكان طوله ارتفاعا نحو السماء فرسخين، وقال ابن عباس رضي الله عنه كان ارتفاعه نحو السماء خمسة آلاف زراع، وعرشه ثلاثة آلاف زراع، فبعث الله تعالى عليه ريحا فهدمته وخر سقفه عليه فهلكوا، وقيل هدمه جبريل عليه السلام بجناحه ولما سقط تبلبلت الناس من الفزع، فتكلموا يومئذ بثلاث وسبعين لسانا، فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية.

ثم قال البغدادي: ولا يخفى ما في هذا الخبر من المخالفة للمشهور، لأن موجهه أن هلاك نمرود كان بما ذكر، والمشهور أنه عاش بعد قصة الصرح وأهلكه الله تعالى ببعوضة وصلت لدماعه، وما ذكر في وجه تسمية المكان المعروف ببابل هو المشهور وفي (معجم البلدان) أن مدينة بابل واشتق اسمها من المشتري، لأن بابل باللسان البابلي الأول، اسم للمشتري، وأخر بها الاسكندر، وما ذكر من أن اللسان كان قبل ذلك السريانية، ذكره البغوي، ونظر فيه الخازن بأن صالحا عليه السلام وقومه كانوا قبل، وكانوا يتكلمون بالعربية وكان قبائل قبل إبراهيم عليه السلام مثل: طسم وجديس يتكلمون بالعربية أيضا.

وقال الضحاك الآية إشارة إلى قوم لوط عليه السلام أيضا وهي ما تشمل جميع الماكريين الذين هدم عليهم بنيانهم. (البغدادي، ج ٨، ص ١٧٤) ومثل هذه الإشارات القرآنية تدلنا على قوة ثقافة هؤلاء الشعوب في تعمير الأرض بفن المعمار والبناء والتشييد، وكان هؤلاء لغتهم العربية لدى بعض من المؤرخين وإن كان البعض أثبت لنمرود بن كنعان أنه لغته السريانية، وكذلك قصة الهدد هذه القصة تناولها القرآن الكريم في سفرات نبي الله سليمان بملكه العظيم، فكان الحوار في أربع وعشرين آية، قصدى في هذه القصة من زاوية، مدنية هذا الشعب والحنكة السياسية لهذه الملكة، وتعبيرها في وصف كتاب سليمان الذي غلبت عليه اللغة العسكرية، ولكن الملكة تدرك ذلك تماما مع هذا قالت: إني ألقى إلي كتاب كريم، وهو دليل على قدراتها العقلية في تدبير أمر المملكة، القوة المعتمدة في إدارة الأزمات، قوة العقل، والقوة العسكرية الخيار الأخير، وهذه قمة في المدنية، والمملكة: مملكة عربية، ولها عرش المملكة من عجائب الدنيا، وهذا العرش نقطة محورية في

القصة، فليقرأ القارئ بإمعان النظر في هذه الآيات ليقف على محطات تظهر لهذه المملكة ما كان لها من الحضارة والثقافة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٥٠﴾
لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٥١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ
فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٥٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا
تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبَّهُمْ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ أَعْمٰلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٥٤﴾
أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ
﴿٥٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٥٦﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
الْكَٰذِبِينَ ﴿٥٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتٰبِي هٰذَا فَأَلْقَهٗ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالَتْ
يٰٓأَيُّهَا الْمَلٰٓئِكَةُ إِنِّيٰ أُلْقِيٓ إِلَىٰ كِتٰبٍ كَرِيمٍ ﴿٥٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
﴿٦٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٦١﴾ قَالَتْ يٰٓأَيُّهَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا
حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ
﴿٦٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمَلٰٓئِكَةَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذٰنًا وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٤﴾
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمٰنَ قَالَ أَتُمَدُّونَ
بِمَالٍ فَمَا آتٰنِيَهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتٰكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٦٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آذٰنًا وَهُمْ صٰغِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ يٰٓأَيُّهَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَيُّكُمْ يَأْتِيَنِي
بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ عِزْرِيَّتٌ مِنَ الْيَمَنِ أَنَا أٰتِيكِ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكِ
وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٦٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتٰبِ أَنَا آتِيكِ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكِ
طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيٰ غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٧٠﴾ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ
مِنَ الْٰذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٧١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِهَا
وَكَأنا مُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كٰفِرِينَ ﴿٧٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي
الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٰنَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٤﴾ النمل: ٢٠ - ٤٤.

الملاحظة الأولى:

هذه القصة من خلال هذه الآيات يتبين لنا أن هناك مملكة عظيمة تتربع على قمة الحضارة والمدنية، تملك جيشاً قوياً، وهذه المملكة تحكم بالحكمة وحسن التدبير والإدارة، فعند حصول الملكة على الرسالة، قامت بدعوتها للوزراء وقادة الأركان ورجال الأمن، وطرح القضية بأسلوب حكيم، واستمع من رجال النظام المدني والعسكري، وكانت الملكة تظهر بقدرة الاستيعاب والتحليل العميق والتوازن بين الرسالة وموقف قادة الجيش، وتطلعت إلى الواقع بحسن التدبير لحل المشكلات بالطريقة الدبلوماسية، وهي ملكة لمملكة سبأ متفقت على عربيتها.

الملاحظة الثانية: هذا العرش مما أثار دهشة سليمان عليه السلام وهو يدل على قوة التقدم في المدنية والثقافة، العرش العظيم كما وصفه القرآن الكريم دليل على الرقي والتقدم حتى أنتج من الأثاثات المنزلية التي لا مثيل لها.

وتملكها الملكة وهي مما تؤكد ثقافة هذا الشعب فقد بلغت القمة من التطور والتقدم، وكانت الملكة بسياستها الحكيمة أنها تعلم جيداً وتدرك قوة الجيش الذي يملكه سليمان عليه السلام غير ممكن مقاومته، وكان إصدارات أوامر سليمان مع الهدد وتفقد لها ووعده في غيابه بواحد من ثلاثة أمور بسبب أنها تأخرت وكانت غائبة وإرساله الرسالة في لهجة شديدة عسكرية، ففي مثل هذه المواقف يقابلها مواقف لينة دبلوماسية، لما لحاجة الإنسان الدبلوماسية والبيان حتى يعرف كل طرف عن الطرف الآخر، وعند التقارب يمكن أن يحصل التفاهم وبناء الثقة، وتحققت ما رسمها فقد جنبت قومها ويلات الحرب، وتم التقارب وحصل التفاهم.

الملاحظة الثالثة: إن هذه المملكة بقدراتها السياسية والعسكرية وتعميرها بالفنون المعمارية، ولا سيما أثاثات البيوت من الكراسي والعروش لدى هذه المملكة، وهي مملكة عربية في القرون التي قبل الإسلام ببعيد، فكان سليمان عليه السلام فقد سال ربه أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وحين رأى عرش هذه الملكة فاستغرب.

يمكن القول ما أنتجته الثقافة العربية من القرون الأولى لم يتم تنقيبها، ينبغي شد الرحال إلى البحث والتنقيب للثقافة العربية القديمة، إن القبائل العربية التي نزلت عليها آيات القرآن الكريم هم أهل بادية سائرين وراء الأبل والبقر والغنم، ولم يسكنوا القصور كما كانت في مملكة سبأ ونمرود بابل وغيرهما كإرم ذات العماد، وفي سبيل تأكيد الحضارة والثقافة العربية في الأمم والشعوب المتقدمة، ناولت هذه القصة بكاملها أربعاً وعشرين آية لتتلور الجوانب الدقيقة من الحنكة السياسية، والقوة الدبلوماسية في تدبير السياسة، والضبط الإداري، والحكمة في ترتيب الأمور، والتنظيم والدقة في الفنون المعمارية

والأثناات المنزلية وهذه الجوانب حضارية وثقافية، فأشارت إليها هذه الآيات في القرآن الكريم.

الملاحظة الرابعة: قوله تعالى: (إني وجدت امرأة تملكهم) وقال البغدادي: تتصرف بهم مطلق التصرف ولا يعترض عليها أحد، وهذه المرأة من هي؟ اسمها بلقيس بنت شرجيل بن مالك بن ريان من نسل يعرب بن قحطان.

وقد قيل من نسل تبع الحميري، ويحكي أنه كان أبوها ملك أرض اليمن كلها وورث الملك من أربعين أباً، ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك ودانت لها الأمة.

وفي بعض الآثار أنه لما مات أبوها طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وأبى آخرون فملكوا عليهم رجلاً وهو ابن عمها ولكنه خبيثاً فأساء السيرة في أهل مملكته، يفجر بنساء رعيتيه، فأرادوا خلعه، فلم يقدروا عليه، فلما رأت بلقيس ذلك فعرضت نفسها عليه فأجابها وقال: ما منعي أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك قالت: لا أرغب عنك لأنك كفاء كريم فأجمع رجال أهلي واخطبني فجمعهم وخطبها فقالوا: لا نراها تفعل فقال: بلى إنها رغبت فيّ، فذكروا لها ذلك فقالت: نعم، فزوجوها منه، فلما زفت إليه خرجت مع أناس كثير من حشمها وخدمها فلما خلت به سقته الخمر حتى سكر فقتلته وحزت رأسه، وانصرفت إلى منزلها، فلما أصبحت أرسلت إلى وزرائه وأحضرتهم وقرعتهم، وقالت: أما كان فيكم من يأنف من الفجور بكرائم عشيرته؟ ثم أراهم إياه قتيلاً، وقالت: اختاروا رجلاً تملكوه عليكم فقالوا: لا نرضى غيركم فملكوها، وعلموا أن ذلك النكاح كان مكرًا وخديعة. (روح المعاني، ج ١٠، ص ٦٠١ - ٦٠٢).

وما نريد إظهاره وتأكيد أنه المملكة عربية، وأن أبا الملكة ورث الملك من أربعين أباً، تعاقب بعضهم بعضاً على عرش المملكة حتى بلغت ثقافتهم في الطاعة والالتزام بالمراسم المدنية بين القيادة والرعية أمر مقدس، جعلت المرأة تأخذ القيادة وتطبعها القاعدة من غير أن يعترض أحد على هذا الأمر، وسهل الأمر في ذلك القواعد الشعبية في مكونات أركان النظام الذي ساد في مدة زمنية طويلة، يتعاقب فيها على العرش أربعون ملكاً، فكان كل حلقة من مكونات النظام أصبحت عمدة فالمجتمع بلغ قمة من المدنية، ورضى المجتمع من بلقيس أن تملكهم وبقناعة ذاتية بناء على معرفتهم بقدرتها وقوة ملاحظاتها في الأمور وقدراتها الفكرية والقيادية ونفسيها الثابتة، هذه كلها تدل على أنها ورثت الملك من جذور عميقة في شعب له جزور عميقة في القيادة وتكوين الإنسان، وهذا يوصلنا إلى أن اللغة العربية ولد في أعشائها هذه الثقافة، في هذه الحياة المدنية من أمة لها تاريخ عظيم وهم ممن يتكلمون بالعربية وسكنت البلاد وبنيت هذه الحضارة التي يحكيها القرآن الكريم وهو كنز عظيم من تاريخ اللغة العربية.

وما يؤكد ذلك من سياق القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ سبأ: ١٥ - ١٩

فقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: لقد كان لسبأ أي لولد سبأ، وهو كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد، فثمين منهم ستة، وتشاعم أربعة منهم، فأما الذين تيمينوا منهم: كندة، حمير، والأزد، والأشعريون، ومذحج، وأنمار الذين منها حثم وبجيله، وأما الذين تشاعموا: فعاملة وجذام، ولخم، وغسان وكانت حياتهم كما حكى القرآن الكريم في منتهى السعادة، بحسن تدبيرهم من اليمين إلى الشمال والأرض التي بورك فيها وهي الأرض المقدسة، أرض الشام، ولكنهم حسدوا أنفسهم، فبعث الله جرذا فنقب ما بنوه من سد مأرب حتى غرق به جناتهم وخرّب به أرضهم عقوبة بأعمالهم.

وكانوا قد عمروا أرض الجزيرة وبنوها على خطط من تخطيط المدن: بيوت وأراضي زراعية فيها، قرى متواصلة كان أحدهم يغدو فيقبل في قرية، ويروح، فيأوى إلى قرية أخرى، (سيروا فيها ليالي وأيام آمنين) لا يخافون ظلما لأن المنطقة والبلد بكامله معمر، ولا يخافون جوعا، والبلد مليئة بالبساتين والأشجار المثمرة، وإنما تغدون فتقيلون، وتروحون فتببتون في قرية، أهل جنة ونهر. (روح المعاني، ج ١١، ص ٦٦٦)

وهذه الآيات تحكي عن واقع من الشعوب عاشت بجغرافية ولهم فيها آثار من إبداعاتهم وثقافتهم، وسلوكهم المهنية والأدبية، تؤكد ثقافتهم في تعمير الأرض من إنشاء لمدن وبساتين مما يلبس الأرض زينة وجمالا وإحكام الأمن الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، حتى كانت البلدة طيبة من شدة إحكام التخطيط من ثقافة هؤلاء الذين سكنوا هذه الرقعة الجغرافية الشاسعة التي تبدأ من مدينة سبأ جنوبا وتمتد إلى الأرض التي بورك فيها في الشام.

وهي تكون موضع عناية من أقلام الباحثين للوصول إلى الكنوز العظيم في هذه الحقبة الزمنية في التاريخ والمكان الذي تم فيه هذه الحضارة وقامت ثقافة عظيمة ما أنتجها

ساكن هذه الرقعة الجغرافيا، وبسبب الترف والطغيان (فجعلنا هم أحاديث) أي صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم في المثل في التشتيت.

بناء السدود: ان بناء السدود من الأعمال التتموية التقدمية الاقتصادية لدى المجتمعات المدنية، وقد كان سد مأرب هو الأساس في التنمية والتقدم واستقرار الشعوب في جغرافية الجزيرة، وهو من أعمال الشعوب العربية في هذه الجزيرة، يقول البغداي: وقيل الذي بنى السد هو حمير أبو القبائل اليمنية، وقول آخر يسند بناء السد إلى لقمان بن عاد الأكبر ووصف أحجاره بالرصاص والحديد ولم يزلوا في أرغد عيش وأخصب أرض حتى طغوا فسلط الله تعالى على سدهم الخلد (دويبة مثل الفار) فولد فيه فخرقه، فأرسل سبحانه سيلا عظيما، فحمل السد، فذهب بالجنان وكثير من الناس، وكان ذلك على ما قيل في عهد ملك ذي الأذعار بن حسان في الفترة ما بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام، وفيه بحث على تقدير القول بأن الإعراض كان مما جاءهم من الأنبياء الثلاثة عشر، فكفروا بهم فسلط الله عليهم سيل العرم.

وقال عبد الملك في شرح قصيدة ابن عبدون إن أرض سبأ من اليمن كانت العمارة فيها أزيد من مسيرة شهرين للراكبين المجد (ما يساوي طولا خمسة الآلاف كيلو) وكان أهلها يقتبسون الناس بعضهم من بعض مسيرة أربعة أشهر، فمزقوا كل ممزق. (روح المعاني، ج ١١، ص ١٦٦).

فتمزقت الشعوب العربية وهاجرت إلى بلاد خارج الجزيرة فدخلوا كثير منهم إفريقيا عن طريق فلسطين وبعضهم عن طريق المواني الواقع شرق الساحل الإفريقي من مدينة كسمايو الصومالية ممتدا إلى زنجبار جنوبا، أكثرهم استوطنوا إفريقيا جنوب الصحراء وهي من العوامل التي يمكن تفسر بحالة العرب، في الجزيرة قبل البعثة حياة العرب في هذه الفترة حياة الإنسان البسيط البدائي الذي تفكيره في مأكولاته أكثر من حاجة الإنسان الأخر.

المبحث الثاني: اللغة العربية وتحديات العصر: إن اللغة العربية أكدنا قوة كيانها فيما تقدم من خلال قوة متكلمها من الشعوب والأمم التي لها حضارات عظيمة وثقافات لا تكاد أن يوجد لها مثل في قوة بناء الكلمة والجملة العربية كانت قبل اختراع الكتابة، وهي تملك قوة اللفظ والكلمة في لغة الكلام النثري العادي وقوة النثر الأدبي حتى اهتدى الإنسان إلى اللغة الشعرية التي هي فن من الفنون الجميلة لا يستخدم إلا بطريقة خاصة ولأهداف خاصة، وهي المرحلة التي وصلت إليها اللغة في نسج الأفكار بطريقة ممزوجة مع حرارة العاطفة لإثارة الأحاسيس والشعور لتوظيف الأغراض المتعددة.

اللغة العربية وتحديات العصر

وكانت فنون اللغة العربية أقوى فناً ببيانها وفصاحتها وبلاغتها وصياغتها للمعنى وتحريكها للأحاسيس والوجدان، ولما في كلام المنثور كوسيلة فنية للتأثير في الغير وعند ما يكون الكلام المنثور بطريقة خاصة في النثر الأدبي فيكون أقوى في التأثير من الكلام العادي، وعند ما تتحول النثر الفني في نظم الشعر بموسيقية لها إيقاعات ولها واقعها الخاصة في النفس، وتحمل التعبير عاطفة حرارية بفكرة في قضية من القضايا فيكون أبلغ في التأثير حتى على من لم يسمع المعنى، فيكون صناعة الكلمة لصياغة المعنى بإيقاعات موسيقية تحرك جميع من يسمع ذلك. (مندور، ص ١١).

كما هي الحال في سماع الآيات القرآنية، والسامع لم يعرف المعاني ولكنه يتأسى بسماعه للقرآن لما في القرآن الكريم من قوة البلاغة والفصاحة التي يملكها الكتاب العزيز من نظريات للنظم من شدة التوضع في ترتيب حروف الكلمة، والتماسك في نظم ترابط كلمات الجملة وفق ترتيب المعاني في الذهن، كما قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، فأعجزت العرب البلغاء والفصحاء.

إن اللغة العربية وهي اللغة العلمية الأولى لتضمن آياتها القواعد العلمية التي جاءت في الآيات من ناحية المادة العلمية، ومن ناحية أسلوب القرآن الكريم في توجيه الإنسان مباشرة نحو التعامل مع الكائنات حول الإنسان، وتوجيه الإنسان أن يعرف ذاته ويعرف واجباته في ذاته، ويعرف واجباته في محيطه، مع الكائنات والناس ويجب أن يعمل على علم وليس على شك في أمره وبهذا وضع القرآن الكريم الإنسان على وضوح من أمره ليكسب علماً فيما حوله ثم ليحوله إلى فرصة لمصلحته.

إن تحديات العصر بالتطور الهائل بهذه التكنولوجيا الصناعية التي نشهدها تتجدد في كل ساعة في تطورها الصناعية والمعلوماتية، تعتبر من مشتقات اللغة العربية التي كانت قديمة هي لغة عربية، فنزل القرآن الكريم بها فتطورت إلى اللغة العلمية الأولى على مستوى الكون، **تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٩.**

قال البغدادي: (بل هو) أي القرآن، وهذا اضراب عن ارتيابهم أي ليس القرآن مما يرتاب فيه لوضوح أمره بل هو (آيات بينات) واضحات ثابتة راسخة (في صدور الذين أو توا العلم) من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر على تحريفه بخلاف غيره من الكتب، وجاء في وصف هذه الأمة صدورهم أناجيلهم، وكون ضمير هو للقرآن هو الظاهر (الطبري، ج ٩، ص ٢١٨).

فكل ما نراها من مظاهر التقدم العلمي والتكنولوجي هي نتيجة لمشتقات اللغة العربية باعتبارها اللغة العلمية المطلقة، وكما نقول إنها اللغة العلمية الأولى، مقتضى هذا يجعلنا

أن نضع في الاعتبار، هناك اللغة العلمية غير اللغة العربية قد بوات مكانا لمصادقية عالمية، أنها لغة علمية بلا منازع كاللغة الإنجليزية، فهذا الكلام على أي أساس يبنى من العلم يصح القول به، على حسب تقديري أن اللغة الإنجليزية قد دونوا بها المصطلحات العلمية، وهي ميزة لم تسبقها بها لغة أخرى من اللغات الحية التي اعتمدت سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا في العالم، فكان للغة الإنجليزية لها السبق بالمصطلحات العلمية التي دونت بها القواعد لاستخراج المعلومات واشتهرت في الأكاديميات الكبرى من الجامعات في الدراسات التخصصية في مجالات العلوم الطبيعية التطبيقية، ودخلت في هذا الباب الذي له من القيمة ما لا يساويه أي باب أخر لندرتهما وقلتها وكان ذلك مقصودا في السياسة العالمية لهدف منع بعض من المجتمعات الوصول إلى المجالات العلمية الدقيقة في تلقي العلم والمعرفة، وفي ذلك صنفوا دولا ومجتمعات لا يحق لهم التعليم في مجالات العلوم الطبيعية التطبيقية، وفي شأن هذا قامت السياسات لبعض الدول التي لها إمكانيات أن تنشأ مؤسسات في مجالات العلوم الطبيعية التطبيقية بما تحتاج إليها من الأجهزة المتطورة والأثاثات المطلوبة لتدريب وتكوين الكوادر المقتررة من أبناء هذه الدول.

فإن سياسة الفكرة الغير صحيحة، هي المؤثرة تضع العراقيل في سياسات تلك الدول التي تملك القدرة في إنشاء المؤسسات في هذه المجالات، أن تنزرع بزريعة لتعليم أبناءها فقط ويمنع أبناء الدول الأخرى حق التعليم في هذه المؤسسات في البلاد، كما كان الأمر في المملكة العربية السعودية، فكثير من الجاليات المسلمة يمنع أبناءها المشاركة في التعليم في المدارس العلمية والتخصصات الحديثة، بعد الثانوية لا نعرف السبب ويقولون لأجل تقل النفقات في المجالات العلوم الطبيعية التطبيقية المعامل بالملايين وقد يخربها واحد أجنبي ليس هو من المواطنين.

وهذه من الخسارات التي غير ممكن أن يحملها المملكة، والحقيقة هي من السياسات المقصودة من أصحابها لمنع بعض المجتمعات والدول الحصول على المعلومات في العلوم الطبيعية والتطبيقية لمنعهم من التطور العلمي والتقدم التكنولوجي، ومن أفسح له المجال فيربط باللغة الإنجليزية إنها اللغة العلمية، من له رأي آخر بأن تحول هذه المصطلحات إلى اللغة غير الإنجليزية كالفرنسية والاسبانية فيتغاضى في ذلك، أما أن تحول هذا المصطلحات بالعربية، فيقابل بالاستهجان أن العربية ليست لغة علمية إلا في بعض المعلومات الأولية في الرياضيات من الابدديات الأولى.

فأقول: إن اللغة الإنجليزية ليست لغة علمية، إن المسألة العلمية هي إدراك واحاطة شيء بدقة من العلم قطعياً، وهو غير ممكن للبشر. إن البشر يكتسب من العلم شيئاً فشيئاً (إنما العلم بالتعلم)، فالعلم يعني: معرفة الأمر والشيء معرفة أدق لا تقبل التوجيه والاحتمال،

اللغة العربية وتحديات العصر

وما ساعد في مركبات الفضاء والطائرات المتحلقة في الجو، معرفة القوانين العلمية في الطيران معرفة دقيقة بحسابات علمية تدل على مدلولها دلالة قطعية، وليس فيها احتمالات في الدلالات، فكان بذلك في سرعتها لقطع المسافات معرفة أدق، لا يتأخر بزمن ولا يتقدم بزمن، بل يكون كما دل عليه العلم، هذا هو العلم وما كان يملكها اللغة الإنجليزية ولا غيرها من اللغات، حتى العربية، إنما اللغة تأتي من متكلميها حسب قدراتهم العقلية واستيعابهم الأمر بتجربتهم في الحياة وما ورثوها من الأقدمين في حياتهم المدنية واكتسابهم الخبرات في تعاملهم بالسلوكيات مع ما يستجد من مجريات الأمور، يصل العاقل في تجويد الفهم وقوة الإدراك والاستيعاب، فيصل إلى تقعيد قاعدة علمية بعد التكيف والامتصاص، وهي الذكاء وحسن التدبير والتقدير يتفاوت الناس عادة بقدراتهم الفنية في لم الشتات وترتيب المفردات وتنظيم المجموعات، كل هذه تفضي إلى صناعات بديعية، ما كل الناس يعرفها ويملكها، وما وصل إليها من العلوم الطبيعية التطبيقية بالقواعد والقوانين حصلوا عليها بالتجربة في لم الشتات المتفرقات وترتيب المفردات، واجراء التجارب العلمية في تأكيد مصداقية النظرية حتى استقرت القواعد العلمية والقوانين للوصول إلى نتيجة ما.

فكان بهذا أصبح المتكلمون بالإنجليزية هم أحسن الناس في حسن التدبير والترتيب، وليست اللغة الإنجليزية هي اللغة العلمية، إنما هي كغيرها من اللغات.

أما اللغة العربية باعتبارها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وإنما تحديات التي تحملها اللغة العربية هي قوة العلم التي تحملها آيات القرآن الكريم المنزلة من الله العلي القدير، وهو بكل شيء عليم، فأصبحت اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وهو كتاب يحمل القواعد العلمية. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاحْطِ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصِ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ﴿الجن: ٢٨﴾

معرفة الحسابات في العينيات، ومعرفة الحسابات في المسافات المكانية، ومعرفة الحسابات في الأتقال والموزونات، ومعرفة الحسابات في المسافات الزمنية، الآيات التي نزلت بلسان عربي مبين تحمل الدقة من العلم قطعياً بهذه الحسابات تَعَالَى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا

عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَابِ وَكُلِّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ ﴿الإسراء: ١٢﴾
قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿العلق: ١-٥﴾

هذه من الآيات الأولى نزلت من القرآن الكريم تحمل رسالة أمر بالقراءة والتعلم، أن الإنسان يتعلم بالقلم، ويتعلم ما لم يعلم، بيانا وتوجيها ليهتم الإنسان بالعلم والتعلم ليكسب من الأمور ما لم يعلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ ﴿يس: ٨٠﴾

أنظر هذا التعبير: الذي جعل من الشجر الأخضر نارا، تعبير علمي بليغ ممن هو بكل شيء عليم، فقد جعل من الشجر الأخضر نارا، فهذه العناصر الثلاثة لا تتجانس ولا تبقى واحد فقط دون الآخر، إن الشجرة الخضراء فيها ماء ونار وكذلك بقاء الماء مع النار في الشجرة، فبقاء الشجرة متجانسة لم تأكلها النار لأمر عظيم تم بقانون علمي حكيم، ولقد أخبرنا بذلك القرآن الكريم للدلالة على أن كلمات القرآن الكريم تحمل العلم الدقيق والقاعدة المحكمة في استخراج القوانين العلمية ولم يحصل بالتجربة وأخذ الخبرة، وإنما بالعلم من صاحبه الذي بكل شيء عليم.

وقال أيضا: وقال أيضا: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الذاريات: ٢٠ - ٢٣. هذا أسلوب حكيم يخاطب العقل في لهفة بعمق شديد، للتأمل بالتركيز الكامل لاستخراج ما هو كامن مستور تحت الأرض لمصلحة العباد، فالعقل جهاز وظيفته التفكير لإنتاج الخيال الذي له سطو في جميع العناصر المتباينة وسياقتها لخلق شيء جديد لا ترى له علاقة مع العناصر الملتقط فيها السياق.

وهذه الآيات سياقتها بألفاظ عربية واضحات الدلالة على مدلولها بأسلوب حكيم من الله العليّ القدير، الذي وهو بكل شيء عليم، وهي تبعث قوة الإرادة في النفس على تأكيد الخبر، والفهم في المدلول عليه الخبر، فالعقل يدرس في امعان النظر للتحليل العميق لاكتشاف الشفرات في القوانين العلمية التي وضعت بالتجارب العلمي الحكيم، والتي تنتج من الخبرات الإنسانية.

وتلك من الألفاظ المتضمنة للتوجيهات والإرشادات العلمية الدقيقة لتنتقل الإنسان إلى يقين بالتأمل في الكائنات التي في الأرض من الجمادات والنباتات وغيرها من السوائل والحشرات والحركات التي تجرى في أطراف الرياح وغيرها.

وكل ذلك بحسابات دقيقة، وينبغي النظر بالتأمل الدقيق في أنفسكم لقراءة الذات وما تحمله نفس الإنسان لا يستطيع الإنسان أن يحيطه علما، ولو بجزء بسيط رغم النضج في عقله وفهمه الكثير في أمور الحياة، وتدبيره فيما فيه حاجاته ومآربه، ويعجز عن فهم أجزاء ذاته فهما تفصيليا، وينبغي النظر بالتأمل الدقيق إلى السماء وفيه رزقكم وما توعدون، ليدرك الإنسان الحقيقة ليكون الشخص أو المخلوق الذي أكثر إمام بطريق السلوك في كل شيء ليحصل على الفوائد في تحقيق المصلحة ودفع المصرة بجهد أقل لنفسه وللعباد والبلاد، فأقسم الله جل جلاله بقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الذاريات: ٢٣ ، هذه حقيقة واقعية لا يستطيع أن ينكرها أحد أبدا، إلا من هو مكابر.

اللغة العربية وتحديات العصر

من هنا قد يظهر بعض الشيء أن اللغة العربية لغة علمية بامتياز، فمثل هذه الآيات وما تناولها من الإشارات في الأرض والسماء وفي الإنسان ذاته، لا تجد مثلها أبداً في أي لغة كانت لأن جميع اللغات وما تملك من الأمثلة والتعبير في ظواهر الأشياء وفي بواطنها كل ذلك وصلت إليها عن طريق التجارب والالتقاط في الخبرات المترامية، وبقوة ثقافتها ومدىها قد تكتنز ما لا تكتنزه اللغات الأخرى، إلا لغة كانت لمتكلميها المدنية والثقافة والتجارب في الحياة.

اللغة العربية إنها لغة علمية لما لها من مزية فضل بالقرآن الكريم الذي نزل به الوحي، وبذلك انتقلت اللغة العربية إلى طور يجعلها فصلاً مما قبلها من لدن سام بن نوح، وكان تاريخ اللغة العربية القديمة مرت بأمم وشعوب لها أيامها وثقافتها وحضارتها، فكانت اللغة العربية مثلها مثل اللغات الأخرى مما تتحدث بها الأمم والشعوب في تاريخ البشرية.

وميزت اللغة العربية كونها نزل بها القرآن الكريم لبيان شؤون الحياة التي يحتاج إليها الإنسان، والقرآن الكريم ما جاء فيه من الأساليب من بنية الكلمة بحروفها المتجانسة فيما فيها من أصول وزيادة ونقص وقلب واعلال وابدال، ومن أساليب في بناء الجملة بكلمات متجانسة ومتماثلة فيما فيها من جملة اسمية أو جملة فعلية أو شبه جملة وغيرها بروابطها بقوة وبنائها بألفاظ تظهر فيها التنسيق والتعاقد بين اللفظ والمعنى في قوة البلاغة وشدة البيان تخرج بسحر التناغم في فصاحة الكلام. (البصري ج ٣، ص ٩٠ - ٩١) هذه هي أساليب اللغة العربية الموجودة قبل القرآن الكريم ولم يدخل على العرب يومئذ الصناعة في اللغة العربية ولا القواعد، لا علم أصول اللغة، ولا علم النحو والصرف، ولا علم البلاغة ولا فن الأدب العربي في النثر والشعر، وما ظهر يومئذ قوة البلاغة والفصاحة عند العرب. (عباد، ص ١٩)

وفاجأهم في هذا المجال بلاغة القرآن وفصاحته وتحداهم القرآن بأن يأتوا بسورة من مثله، ولم يستطع أحد من العرب أن يأت بسورة من مثله، فأعجزهم القرآن الكريم ببلاغته وفصاحته فظهر اعجاز القرآن في بلاغته، وكان في ذلك كتب من القدماء، وللشيخ عبد القاهر الجرجاني كتاباً سماه: دلائل الاعجاز. اليوم تحدي القرآن الكريم بالنظريات العلمية التي ظهرت في هذا العصر من التكنولوجيا الحديث في كل المجالات، وبالأخص التكنولوجيا العسكرية وغيرها، اليوم الباحثون الذين يبحثون في الآيات القرآنية وصلوا إلى شفرات في القواعد والقوانين العلمية لا يعرفها غيرهم من الباحثين في عدة المجالات وخاصة في العلوم الطبيعية التطبيقية، ومن هذا الباب ينبغي إعادة النظر من الباحثين وأساتذة الجامعات ورجال الفكر في شد الرجال بالبحوث العلمية في شتى المجالات في اللغة العربية لأنها وسيلة لفهم القرآن الكريم، وإنه من غير معرفة اللغة العربية بقواعدها

النحوية والصرفية والبلاغية وفنونها الأدبية من أصول اللغة وغيرها لا يمكن فهم القرآن فهما علميا وأديبا، وما لا يتم الشيء إلا به فهو واجب، فإن دراسات اللغة العربية وسيلة لفهم ومعرفة القرآن، لمعرفة اللغة العلمية بالامتياز.

الخاتمة:

نأتي إلى الخلاصة كنتيجة ما تم التوصل إليها من خلال تناول هذا الموضوع، **اللغة العربية وتحديات العصر.**

أولاً: إن تاريخ اللغة العربية من خلال العرض السريع إنها لغة قد نسبت إلى سام بن نوح عليه السلام، وهو أقرب عندي إلى الصواب، وذلك ظاهر الآيات القرآنية التي أشارت إلى الشعوب والأمم التي قامت بعد طوفان نوح، فهم أصول البشرية الموجودة الآن. وأما المصطلح السامية التي روجت حول المهد السامية الأولى، إنها قضية فيها مآرب سياسية تلمودية وليس موضوعنا، وما نريد أن نصل إليه بالموضوعية إن اللغة العربية كونها منسوبة إلى سام بن نوح عليه السلام وقوم عاد وثمود الذين فيهم هود، وصالح من الأنبياء العربية وإن كان عاد فيهم من هو غير عرب، وكان هود عربي، فلسان القوم عربي، (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) وكذلك قوم ثمود، وقوم شعيب.

ثانياً: فإذا أثبت أن اللغة العربية قديمة أنها لغة سام بن نوح، لغة عاد وثمود، فهذه الشعوب هم أكثر من كان لهم بسمات في الأرض من بناء وتشبيد وحضارة إنسانية، ونظم زراعية اقتصادية، فإنهم أكثر من ملك الممتلكات السمينية في التاريخ، ولا شك أن اللغة العربية لغة تحمل في طياتها ثقافات هؤلاء الذين لهم الحضارة العظيمة ولهم الثقافة التي تحمل سلوكهم في جميع مجالات الحياة الفكرية والعسكرية والأمنية والمدنية والاقتصادية والعادات والتقاليد التي تميز الشعوب بعضها عن بعض.

ثالثاً: وما سردناه من الآيات القرآنية في قصة سليمان، وقصة سد مأرب، تؤكد أن اللغة العربية لغة شعوب كانت لهم حضارة في كل المجالات الحيوية حتى صناعة الأثاث المنزلية، وبناء الجيوش الأقوياء المختلفة الأغراض، كما كانت لبلقيس حتى أن المرأة تكون ملكا وتدير الملك والدولة بكفاءة وحنكة سياسية وكل هذا أكده القرآن الكريم، فهو منتهى التقدم في الفكر الإنسان، وبناء السدود وتشكيل الفنون الهندسية الزراعية وتخطيط المدن على مستوى جغرافية القارة التي تحكمها هؤلاء الشعوب واللغة التي تتحدث بها هؤلاء الأمم والشعوب اللغة العربية.

وبهذا يمكن القول بأن الشعوب العربية شعوبا متطورة متقدمة بالمدنية إلى منتهى القمة.

اللغة العربية وتحديات العصر

رابعاً: إن الانحطاط والتخلف التي غلبت على حياة العرب متأخراً سببها، انهيار سد مأرب وكان سبباً أساسياً لتمزيق العرب، وهذا التمزيق كما حكى القرآن الكريم عن آثاره السلبية في حياة العرب، وكان العرب في هذه الجزيرة من رغد العيش وأمن الغذاء وأمن النفس في السفر والإقامة، وما كان من انهيار السد قضى على عيشتهم وحياتهم ففروا متمزقين حتى دخلوا إفريقيا وعاشوا حياة شذف في عذاب حتى تحولت العرب إلى البداوة والرعاة يمشون حفاة وعراة وراء الأذنان، وهي نتيجة الكفران بالنعمة، حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فعادت للعرب هيئته.

خامساً: ومما يؤكد ما قلناه جاء في تفسير القرآن الكريم لمحمود الألوسي البغدادي - روح المعاني: أن الذي بنى سد مأرب لقمان بن عاد الأكبر، وأن هذا تاريخ اللغة العربية في أشد الحاجة من الباحثين للتنقيب، أن الحياة الجاهلية التي نزلت آيات القرآن الكريم عليها وعالجها لتغييرها إلى ما هو أفضل للعرب، وبين هذه الآيات ما كانت العرب عليها من الحياة قبل ذلك، فعلى أن نهتم لقراءة اللغة العربية إنها وسيلة قوية لفهم مدلولات الآيات القرآنية لتكون على علم بالعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية التطبيقية.

سادساً: اللغة العربية وتحديات العصر، امتازت اللغة العربية بقوة البلاغة والفصاحة قبيل ظهور الإسلام ونزول القرآن بهذه اللغة، فقد نزل القرآن الكريم بقوة بناء الكلمة المفردة والجملة القوية في ترابط كلماتها وتماسكها بألفاظ عربية بقوة البلاغة والفصاحة، فعجز العرب عن الصناعة في كلامهم بمثله، من حيث بلاغة اللفظ.

سابعاً: بعد نزول القرآن الكريم تحولت اللغة العربية إلى فنون بصناعات مختلفة عن بعضها من بعض، ولم تكن موجودة قبل نزول القرآن الكريم، فظهر علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني، وعلم النحو وعلم الصرف، وعلم أصول اللغة، وعلم العروض للشعر إلى غير ذلك، وهذه العلوم متعلقة باللغة العربية وهي آليات بها يتم الوصول إلى إدراك وإحاطة بدقة من العلم في الآيات القرآنية، لا سبيل لفهم مدلولات الآيات القرآنية إلا باللغة العربية، وليس للغة أخرى أن تكون وسيلة لفهم القرآن اطلاقاً، إذا اللغة العربية هي اللغة العلمية بالامتياز.

ثامنا: من تحديات اللغة العربية: الآيات التي تحمل قواعد العلم وقوانينه مثل **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠.**

مثلا: المضيفات والمضيفون يذيعون الإعلام عند إقلاع الطائرة يخبرون الركاب بوجهة الطائرة إلى مطار كذا عند الساعة كذا ودقائقها، فيكون الوصول كما أخبروا به المضيفون والمضيفات ، وهو دليل علمي بمعرفتهم الدقيقة بالطائرة وسرعتها فهم لا يتكلمون إلا عن علم دقيق بمعلومات الطائرة صنعة وحركة، وهكذا أن الشمس متحركة وكذلك القمر متحرك والليل والنهار كل يتحركون في فلك، وهو المكان الذي يقع السير فيه، وراء هذه الحركات من هذه المخلوقات محرك ضبط كل شيء بحساب دقيق على علم بيقين، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ الإسراء: ١٢ ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ النبأ: ٢٩ فتحدي القرآن الكريم، إنه جاء باللغة العربية وعلى قواعد اللغة العربية، وأسلوب كلامهم في صياغة المفردات والجمل والفقرات، وكل هذه على النمط المتعارف عليه لدى العرب، وليس شيء جديد لم يعرفه العرب وأدخله القرآن الكريم في لغة عربية غير موجود، ليتعامل الناس به ، وقد اقتضى إرادة الله بحكمته أن يصنع قوانين العلم وقواعده، بعد أن نزلت الآيات بالعلم المحكم بإشارات تضمن تلك القوانين والقواعد العلمية بالأسلوب القرآن الكريم العلمي ، كهذه الآية التي استشدهت بها وتشير إلى دقة في الحركات وحسابها نحو ما قدر لكل شيء بعلم و يقين حاسم وكل شيء فصلناه تفصيلا- وكل شيء أحصيناه كتابا.

التوصيات:

- أوصي الباحثين عموما وبالأخص العالم العربي والإسلامي الإهتمام بالبحوث العلمية في العلوم الإنسانية - بما تعنيه معنى الكلمة على الوجه الأخص اللغة العربية في تاريخها قبل البعثة، لم توفيهما الباحثون حقها.
- أوصي الباحثين للقيام بالبحوث العلمية لإظهار الحضارة العربية في تقدمها المدنية والثقافة الإنسانية في مملكة سبأ لتؤكد قوة التقدم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي في الأمة العربية.
- على الباحثين القيام بالبحوث العلمية في العلوم الطبيعية التطبيقية على ضوء الآيات القرآنية وتأسيس كل قاعدة علمية أو قانون علمي على آية قرآنية لأثراء مجال التقدم العلمي والتكنولوجي في هذا العصر للبحث عن الشفرات العلمية الحديثة في الآيات القرآنية الحكيمة.
- على الجامعات والأكاديميات الكبرى العمل على التعارف والتعاون وتعزيز الثقة والتقارب واللقاءات الفكرية لخلق رؤية واحدة على المستوى الأمة لخدمة العلم والمعرفة والمجتمع والأمة الإسلامية والعربية والإفريقية لمصلحة الإنسان.

اللغة العربية وتحديات العصر

- على الباحثين ورجال الفكر وأساتذة الجامعات والعلماء وخصوصا العالم الإسلامي: القيام بالبحوث العلمية في: الفكرة الصحيحة والفهم الصحيح في مجريات الأمور الجارية في هذا العصر، لتوجيه مجتمعاتنا في العالم الثالث نحو مصلحتها ليؤمن بالفهم الصحيح في الفكرة الصحيحة.

المراجع:

القرآن الكريم.

- ١- آراء المبرد النحوية والصرفية في شرح الكافية والشافية جمعا ودراسة، لـ عبد القادر أبكر آدم أطروحة دكتوراه غير منشورة ص ٣٩-٤٣.
- ٢- الأدب وفنونه للدكتور/ محمد مندور - دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ص ٧-٨-١٢.
- ٣- تاريخ الأدب العربي عمر فروح الأعصر العباسية، دار القلم للملايين ج٢، ص ٣٣.
- ٤- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي المتوفى ٤٨ هـ، المكتبة التوفيقية القاهرة، ج ٢١، ص ٢٢٩.
- ٥- حسن إبراهيم حسن تاريخ الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي ج٣، ص ١١٢.
- ٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري دار الحديث القاهرة، ج٩، ص ٢١٨-٢٢٠.
- ٧- دور الحرف في أداء معنى الجملة للصادق خليفة راشد، منشورات جامعة قارونس بتصرف، ص ٢٦٩.
- ٨- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للعلامة أبي الثناء شهاب الدين محمود الأولوسي البغدادي، المكتبة التوفيقية أمام الباب الأخضر سيدنا الحسين، ج٨، ص ١٧٤.
- ٩- روح المعاني مرجع سبق ذكره، ج١٠، ص ٦٠١-٦٠٢.
- ١٠- روح المعاني نفس المرجع، ج١١، ص ٦٦٥-٦٦٦.
- ١١- روح المعاني نفس المرجع، ج١١، ص ٢٣٠.
- ١٢- الشعراء المخضرمون بين الجاهلية والإسلام لهنية علي يوسف الكاديكي منشورات جامعة قارونس بتصرف، ص ١١٧.
- ١٣- المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين د/ شكري محمد عياد، ص ١٢.
- ١٤- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور/ جواد علي، ج١، ص ٠٧.
- ١٥- المنصف في التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، ج٣، ص ٩٠-٩١.

abstract:

Arabic Language and its literature are the bright summation of the human and applied sciences, considering the Arabic language is the excellence scientific language, as well as it is one of the Semitic languages attributed to Sam bin Noah, peace be upon him, and it is one of the oldest languages in the history of mankind, the language of Aad and Thamud, which are from the first centuries. Speaking language in every people and society was an expression of their needs in their lives among themselves, then it developed into the language of writers in prose and poetry, and the Arabic language was more fortunate and more abundant in this field, besides fate wanted the Noble Qur'an to be revealed in the Arabic language.

Chapter one: The Arabic language and its literature in the human sciences. The ancients used to divide the sciences into the transport sciences and the mental sciences, then the transport sciences evolved into the human sciences, and the mental sciences into the natural and applied sciences. The Arabic language was distinguished by the humanities and applied natural sciences together.

Human sciences mean culture, and culture is a human phenomenon, which includes all good human behavior and others.

Applied natural sciences mean: scientific experiments in scientific research about organisms with rules and laws to discover information that leads to human interest, as is the case in the several technological devices and others.

Chapter two: Arabic language studies and the challenges of the age. The studies of the Arabic language were before the invention of writing and notation, the arts of the Arabic language challenged peoples with their eloquence, eloquence, and their formulation of meaning and their movement of feelings and conscience up until the verses of the Holy Qur'an were revealed with theories of systems from the order of the letters of the word and the systems of correlating words of the sentence with the strength of the meaning The connotation of the idea, so it challenged the most knowledgeable Arab people.

The challenges of the current era with this industrial technology and information are a derivative of the Arabic language, which was an ancient Arabic language and the Noble Qur'an was revealed in it and then developed into the first scientific language at the level of the universe. All that we see of technological development is a result of the derivatives of the Arabic language.

Conclusion: The most important results that were reached through the research. Recommendation and references.